

قال ابن القيم -رحمه الله- (فلنرجع إلي ما كنا به من ذكر دواء الله الذي إن إستمر أفسد دُنيا العبد وآخرته ومما ينبغي أن يُعلم؛ أن الذنوب والمعاصي تُضُر) والذي هو قبل ذلك الإمام ابن القيم نبه أن الإنسان لا بُد أن يعلم تفاصيل أسباب الخير والشر ثم لا يُغالط نفسه على هذه الأسباب؛ من أسباب الشر المعاصي, فهنا يبدأ ويعود للموضوع من جديد ويقول : (ينبغي أن يُعلم أن الذنوب والمعاصي تُضُر -أي أنها من أسباب الشر والفساد، ويقول: لابد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، ضرر المعاصي في القلب فلها ضررٌ وتأثير في القلب تمامًا كالضرر الذي تُحدثه السموم في الأجساد والأبدان- على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا سببه الذنوب والمعاصي؟؟

هنا يتكلم ابن القيم كلامًا قيمًا جدًّا في هذا الموضوع ليثبت لنا بالاعتبار مما جرى في الأمم السابقة منذ خُلِق هذا الكونَ إلي ما شاء الله تبارك وتعالى أن الذنوب والمعاصي هي سبب كل شر وفي الحقيقة هذه حقيقة ينبغي أن يتميز بفهمها المؤمن الواعي الموقن أن تعزو الأشياء لأسبابها الحقيقية، أنت حينئذٍ تُحسن التشخيص، فإذا أحسنت التشخيص تستطيع أن تعالج علاجًا صحيحًا، فكل مصيبة تقع للإنسان هي بسبب ذنوبه، لا بُد أن يكون هذا يقينًا راسخ في قلب كل إنسان , كما يقول الشاعر:

بذنوبنا دامت بليتنا \*\* والله يكشفها إذا تبلي

تخيل! أي مصيبة على المستوى الفردي أو الجماعي لابد أن تعزوها في حقيقتها أنها بما كسبت أيدينا، بسبب معاصينا لكي نعرف المخرج منها كما قال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَالٍ** {الرعد:11}

يقول رحمه الله تعالى: (فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج

إبليس من ملكوت السماء، وطرده ولعنه، ومسح ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع ؟ فبدل بالقرب بُعدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قُبْحًا، وبالجنة نارًا تُلْظَى، وبالإيمان كُفْرًا، وبموالاة الحميم أعظم عداوةً ومشاقةً، وبزجل التسبيح والتحميد والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، ولباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحلّ عليه غضبُ الربِّ تعالى فأهوا، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قوَادًا لكل فاسقٍ ومجرم، رضي لنفسه بالقيادة، بعد تلك العبادة والسيادة، فعيادًا بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك، -ويقول رحمه الله وتأملوا في هذا جيدًا- وما الذي غرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم، وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة ؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم -كانت الصيحة من الشدة بحيث قطعت قلوبهم بأجوافهم، وماتوا عن آخرهم ؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء فأمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمم غيرهم وإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد.

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تُلْظَى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق.

وما الذي خسف بقارون وداره وأهله وماله؟ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا، وما الذي أهلك قوم صاحب

ياسين بالصيحة حتى خمدوا على آخرهم؟ وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدرُوا عليه، وتبرُّوا ما علُو تَتبيرا؟

وما الذي سلط عليهم الأنواع العُقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الملوك ومرةً بمسخهم قردهً وخنازير، وآخر ذلك أن أقسم الربُّ الله تعالى في حق بني إسرائيل {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ \* وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأعراف: 166-167]

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} [الأنعام: 6].

وقال عز وجل: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} [غافر: 21]. وَصَدَقَ اللَّهُ: {فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: 40]

طبعًا وما الذي حصل من هتلر وغيرهم منا ببعيد؟ اليهود مهما أظهروا أنّ لهم دولة أو سلطانًا لا يقوم لهم قرار، يكفي إن يمر الإنسان على مقدمة نشرة من نشرات ما يسمى بدار الإذاعة الإسرائيلية اليهودية الخبيثة، مجرد

ما تتبع نشرة تعجب، قد يكون فيها عشرة أخبار تسعة منها عن أخبار الحوادث والقتل وما يسمونهم المخربين أو الإرهابيين وغير ذلك، مما يقع من القلق الذي يعكس أن هذا المجتمع لا يعرف الراحة والاستقرار، وحتى مهما أجمعوا في هذه البلاد التي اغتصبوها ولكنهم لا يعرفون الراحة ولا يعرفون الأمان ولن ينالوه أبدًا، لماذا؟ لأن الله تعالى أقسم {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} هذه لام القسم لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، سواء عذاب بأيدي المؤمنين أو أيدي الكافرين، لكن لا بد أن يُسلط عليهم مثل هذا العذاب.

أما أثر المعاصي أيضًا في أحوال أيام الله تبارك وتعالى في هذه الأزمان، فإنه عُثِرَ في بلد إيطاليا بمقاطعة نابولي تسمى بومبي وحدث هناك بركان مشهور يسمى كن فيزوف، حثر بعض الفلاحين وهو يحثر الأرض على بعض الحفريات! ثم بعد ذلك فوجئوا بأن هناك بلدة كاملة في بومبي تحت الأرض مغمورة بالتراب، كانت هذه البلدة في أيام الحضارة الرومانية القديمة هي محل اللهو والملذات للمترفين من الرومان، كان يشيع الفسق فيها بدرجةٍ تفوق الوصف، حتى أنهم عُثِرَ على عذاب الله تبارك وتعالى نزل عليهم بصورةٍ عجيبةٍ جدًّا؛ الله سبحانه وتعالى بعث عليهم أولًا ريحًا باردة سريعة جدًّا في الحال فتجمدوا في أماكنهم، ثم بعث عليهم بعد ذلك يبدوا أنها حمم البركانية معينة، المهم أن خلاصة الكلام حصل بكيفية معينة كانت نتيجة العذاب الذي أنزله بهم أن كل إنسان تجمد للحظته! وثبت على الوضع الذي حُسف عليه، وكان في قدرتي الذهاب لهذه الأماكن ولقد خشيت أن أذهب وأرى أماكن نزول العذاب -أعاذنا الله وإياكم- يعني والعيادُ بالله الفاسقين وهم في أشنع حالات الفحشاء قد جمدوا عليها وهم ثابتون إلى اليوم والعيادُ بالله في هذه المناظر، وعندني صور من هذه الأشياء أن الرجل يدفع المال ليشرَب الخمر يده ثابتة والدنانير المعدنية موجودة إلى الآن، وعلى جدران بعض معابدهم عاملين

مثل كفتين ميزان إحدى الكفتين الراجحة والأخرى، في إحدى الكفتين يضعون أكداً من الجواهر والأحجار الكريمة، وبالكفة الأخرى رمز معين عورة أو شيء من هذا وهي الكفة الراجحة إشارة إلى أن الشهوات هي التي ترجح -والعياد بالله- وهي المقدسة وأهم الأشياء عندهم -ولاحول ولا قوة إلا بالله- فما زالت العبرة قائمة إلى اليوم، لماذا؟؟ لأنهم كانوا غارقين في المعاصي وفي الفحشاء -والعياد بالله- إلى اليوم بقيت آثارهم شاهدة على ماضيهم الأسود المظلم في مُحاربة الله تبارك وتعالى بالمعاصي. "لوس أنجلوس" هذه التي يقع فيها العذاب بين وقتٍ وآخر، والآن في أمريكا يتوقعون أن هذا الجزء الغربي كله قد يصيبه بلاءٌ أو كرب بحيث يغرق كله في المحيط الهاديء، فهي بلدة مهددة بالانهيار بحيث تحصل فيها زلازل وهذه الأشياء.

تعرفون الزلازل التي حصلت من عهد قريب في نفس هذه المدينة، تعرفون أيضاً أن العذاب الذي سلطه عليهم الله سبحانه وتعالى بحيث يُخربون بيوتهم بأيديهم في الفترة الماضية !! لماذا هذه البلاد بالذات؟ لأن بها من الفواحش ما يضيقُ عنه نطاق الوصف، فيهم -والعياد بالله- من المعاصي المخالفة للفترة ما يستوجب نزول غضب الله تعالى عليهم.

والعبرُ كثيرة، لكننا لا نعتبر كل هذا من الذنوب!! منذ سنوات كنا نصرخ من الجفاف، ومن قلة الزروع والجذب والقحط والسنة التي نزلت بنا لم نتضرع لله تعالى ولم نتب!! وبعد ذلك في هذا العام الماضي المنسلخ كانت الشكوى من ماذا؟ من كثرة المطر التي أهلكت كثيراً من المحاصيل، بالعكس تماماً حتى إرتفع بعض سعر الخضراوات والأكل مثل الباذنجان، فالناس -والعياد بالله- من كفرهم يسمونها الأكلة السوداء إحتقاراً لنعمة الله -والعياد بالله-، كما يفعلون مع الفول والفلافل - يذكرون نعمة الله هذه بصيغة الإحتقار والازدراء- فحتى الأكلة التي كنتم تسخرون منها

وتقولون الأكلة السوداء تضاعف سعرها أضعافاً مضاعفة، بسبب ماذا؟ بسبب كثرة المطر التي أهلكت المحاصيل، فالشاهد كل هذه العبر من الله عزوجل؛ ليلفت نظرنا أن هذا بسبب ذنوبكم، هذا هو التشخيص الحقيقي، أن كل هذا البلاء وهذا الكرب إنما هو بسبب ذنوبنا.

يحكي هنا الإمام ابن القيم : يقول قام الإمام أحمد ثم يذكر السبب، عن جُبَيْر ابن النفير(لما فتحت قبرص، فُرقَ بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض! -كانوا هؤلاء القوم الكفار في قبرص المهزومون، يبكون أشد البكاء يوم أعز الله الإسلام ودخل نور الإسلام في قبرص- يقول: فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء .. ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟! فقال: " ويحك يا جبير!، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما تراه!!

فانظر الى سلوك المسلمين لما سادوا العالم، المسلمون لما سادوا العالم أبو الدرداء -رضي الله تبارك وتعالى عنه- لما ظهر المسلمون على أهل قبرص جلس وحده يبكي! في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله!! أي أن المسلمين يعني أرحم الناس بالناس، حتى في حالة ظهورهم على غيرهم لا يعرفون ابداً هذه الوحشية التي تحصل من أهل الكفر اذا ظهروا مصداق قول-تبارك وتعالى-: **{ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا }** [الكهف:20]

وقوله تبارك وتعالى: **{ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }** [التوبة:10] .

لا يعرفون عهداً ولا ميثاقاً ولا أي شيء من ذلك وما يحصل الآن في البوسنة والهرسك ياخواننا المسلمين منا ببعيد، فالآن هذه المذابح الوحشية والمجازر، يعني يا ليتهم!! ما نتمنى ذلك -معاذ الله- لكن اقول يعني لو أنهم قتلوا فأحسنوا القتلة؟ نعم يريدون استئصال وإبادة شعب؟

هل يقتله؟ جدلاً، لكن هذه الوحشية تكشف عن أن هؤلاء ليسوا بشراً من البشر هؤلاء وحوش، وهذه هي النتيجة التي يُثمِرُها الكفر والرّجس والنجس الذي في قلوبهم تجاه البشر، حينما مثلاً يأتون بامرأة ويدبحون ابنها ويجبرونها على أن تشرب دم ولدها!!! هؤلاء مرضى وحوش لا يمكن أن يكونوا من البشر، يُجبر الأب أو الأم أنها تشرب دم ابنه او ابنها، أو يجبرون الأم او الأب على أن يقوم هو بقتل ابنائه بنفسه وإلا قتلوه هو أيضاً..

فالحقيقة تفنن في التعذيب وفي الوحشية، بصورة لم يسبق لها مثيل ومع ذلك كل أئمة الكفر، كل أئمة الكفر! ساكتون بل ومقرون -والله أعلم- بما تخفيه الكواليس، لعلهم هذه الجرائم، ويأتي ميتران ويتظاهر بأنه ذاهب حتى يطمئن على المساعدات الإنسانية!!!

أي مساعدات إنسانية؟! هو رايع يطمئن على أن المجزرة ماضية على قدمٍ وساق كما هو مُخطّطاً لها، فمسألة الإبادة الآن ما في شيء اسمه الأمم المتحدة ولا حقوق إنسان، لكن يقولون معونات إنسانية، ويأتي بـطرس غالي الذي هو خصم للإسلام والمسلمين، بطرس غالي من أشد أعداء الإسلام والمسلمين، وإن لم يكن كذلك لما اختير في هذا الموقع الخبيث؛ الذي هو صهر بني اسرائيل، ومن أعداء الله الكفار الذين لن يرقبوا فينا أيضاً إلا ولا ذمةً، فيُسأل لماذا لا يُفعل مع الصرب الكفرة مثل ما فعل مع العراق؟ فيقول: هناك مُتغيرات دولية وهناك ظروف سياسية وإلى آخر هذا الكلام يلحن في كلامه, واضح؟

وطبعاً نحن نعتبر مُخطئين إذا أحسنا الظن بالكفار، أو نظن أن الذئب قد يتهدّب!!! فمن التعذيب تهذيبُ الذئب...